ضوابط الشخصية العلمية في الفكر الإسلامي وأثرها على المجتمع الأوربي

Scientific personality controlsIn Islamic thoughtAnd its impact on European society

د. سهى هادي علوش

مدرس دكتور - قسم العقيدة والفكر الإسلامي

كلية العلوم الإسلامية - الجامعة العراقية

Dr. suha hadi aloish

Doctor teacher .Department of Islamic Belief and Thought

College of Islamic Sciences

Suha.alwash@gmail.com

د. بشرى هادي علوش

مدرس دكتور/ ديوان الوقف السني

دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

bushra.alndawe@gmail.com

Dr. bushra hadi aloish

Doctor teacher. Sunni Endowment Office .Department of Religious Education and Islamic Studies

المقدمة

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وشرفنا باتباع خير الأنام، أحمده تعالى أن هدانا للإيمان: {وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف:٤٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا مانع لعطائه، ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده.صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه واتبع سنته إلى يوم الدين. أما بعد؛

لقد كان لتميز الشخصية العلمية في الإسلام الأثر الواضح في بناء اكبر الحضارات في الأرض منذ ان بعث الله تعالى ادم عليه السلام الى قيام الساعة , وذلك لانها نابعة من الوحي الإلهي مستندة الى القران والسنة وهي صالحة لكل زمان ومكان, وقد كان لها الأثر البالغ في تطور المجتمعات الاوربية وغيرها, فهي أساس العلم وقواعده , وقد كان لها عظيم الأثر على تغيير تفكير وسلوكيات المجتمع الأوربي علماء وافراد وقادة .

وقد تناولت خطة البحث على ثلاث مباحث:

المبحث الأول: ضوابط الشخصية العلمية في الفكر الإسلامي

اما المبحث الثاني فتناول المقومات الأخلاقية في الحضارة الإسلامية

اما المبحث الثالث فتناول الشخصية العلمية في الحضارة الإسلامية وأثرها على المجتمع الأوربي ثم الخاتمة وتحتوي على اهم النتائج والتوصيات وهي:

١- ان من اهم الضوابط التي التي جعلت الشخصية الإسلامية متميزة في بناء الحضارة الإنسانية , والتي يسعى الى جميع البشرية هي ناتجة من الوحي الإلهي المتمثل بالقران والسنة النبوية الشريفة , وبتركها تنهار الحضارة مهما كبر اتباعها وتعددت وسائلها, كونها شريعة صالحة لكل زمان ومكان.

٢- ان المقومات الأخلاقية للشخصية العلمية هي ضرورة من ضروريات التكامل الحضاري من الناحية المادية والروحية, وهي سبب التطور الذي وصل اليه الانسان من خلال اعتماد عدة نقاط تسهم في بناء وصقل النفس الإنسانية بكل معايير التقدم والرقي الحضاري.

٣- ان ما قدمته الحضارة الإسلامية من علوم ومعارف ناتجة من خلال اتباع تعاليم الدين

الإسلامي العقائدية والخلقية والسلوكية المنبثقة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة, والتي هدفها الرقي بمستوى الانسان الحضاري من التقدم والتطور من الناحية الروحية والمادية معا.

٤- ان التقدم الذي سجلته الحضارة الإسلامية من خلال تميز الشخصية العلمية هو أساس تقدم جميع البلدان والدول شرقا وغربا.

٥- لقد كان للشخصية العلمية الإسلامية الأثر الكبير والواضح في نجاة المجتمعات الاوربية من كل ويلات الجهل والظلم والتخلف العلمي والحضاري.

The excellence of the scientific personality in Islam had an impactIt is evident in building the largest civilizations on EarthSince God Almighty sent Adam, peace be upon him, until the Day of Judgment, this is because it stems from divine revelation, based on the Qur'an and the Sunnah, and is valid for every time and place. It has had a great impact on the development of European and other societies. It is the foundation of science and its foundations, and it has had a great impact on Changing the thinking and behaviors of European society by scholars, individuals and leaders.

The research plan consisted of three sections

The first topic: Controls of the scientific personality in Islamic thought

The second section deals with the moral components of Islamic civilization

The third section deals with the scientific personality in Islamic civilization and its impact on European society

One of the most important controls that made the Islamic personality distinct in building human civilization, which seeks to serve all of humanity, is the result of the divine revelation represented by the Qur'an and the noble Sunnah of the Prophet, and by leaving it, civilization collapses, no matter how large its followers are and how many its means are, as it is a law valid for every time and place.

The moral components of the scientific personality are one of the necessities of cultural integration from a material and spiritual perspective, and they are the reason for the development that man has achieved through adopting several points that contribute to building and refining the human soul with all standards of progress and civilizational advancement

The sciences and knowledge provided by Islamic civilization are the result of following the doctrinal, moral, and behavioral teachings of the Islamic religion emanating from the Holy Qur'an and the Noble Prophet's Sunnah, whose goal is to raise man's civilized level of progress and development in both the spiritual and material aspects

The progress achieved by Islamic civilization through the excellence of the scientific personality is the basis for the progress of all countries and states, east and west

The Islamic scientific personality had a great and clear impact in saving European societies from all the scourges of ignorance, injustice, and scientific and cultural backwardness

المبحث الأول
ضوابط الشخصية العلمية في الفكر الاسلامي

المطلب الأول : التعريف بمفهوم الشخصية الاسلامية

مفهوم الشخصية الإسلامية لغة واصطلاحا:

تعريف الشخصية من حيث المعنى اللغوي للكلمة: جاء في القاموس المحيط ما يلي:

شخص: بدن وضخم، والشخص: الجسيم والسيد، و المتشاخص: المختلف والمتفاوت»، والشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور ... ورجل شخيص إذا كان سيدا. وشخص الرجل فهو شخيص أي جسيم وشخص وشخوصا ارتفاع و الشخص ايضا: البدانة و الجسامة الضخامة ، والشخص، في اللغة العربية أيضا، هو سواد الإنسان وغيره يظهر من بعد وقد يراد به الذات المخصوصة، وتشاخص القوم (اختلفوا وتفاوتوا) و بالعودة إلى لسان العرب تجد أيضا يركز على المظاهر الخارجية القابلة للملاحظة، كما أشيرت، ذلك أن معني الشخص في اللغة يدل على كل جسم ضخم و بدين أو أنه كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد به إثبات الذات فاستعير عنها لفظ الشخص و بذلك يكون ظاهرا، أما الشخصية فكلمة حديثة الاستعمال لا يجدها الباحث في أمهات معاجم اللغة العربية، فإذا وجدت في بعض الحديث منها فهي تعني (صفات تميز الشخص من غيره)، وكان استعمالها قائمة على معنى الشخص أي على معنى كل ما في الفرد مما يؤلف شخصه الظاهر الذي يرى من بعد، وعلى مفهوم التفاوت[١]. فمفهوم الشخصية، هو مفهوم مستحدث، لا نكاد نجده متداولاً في تراثنا الثقافي بالمعنى المقصود هنا، وهو مشتق في اللغة من (الشخوص): ضد الهبوط، والشخص: كل جسم له ارتفاع أو ظهور. وعلى هذا فإن مفهوم الشخصية له علاقة بالمظهر الخارجي للإنسان وما يظهر منه. وأما في الاصطلاح: فقد عرف بعدة تعريفات منها:

عرفها أحمد نجيب: (بإنها مجموع الصفات الاجتماعية والخلقية والمزاجية والعقلية والجسمية التي يتميز بها الشخص وتبدو بصورة واضحة متميزة في علاقته مع الناس)[٢].

---

(١) عمليات الأنفال واثارها على الشباب,دراسة اجتماعية نفسية ميدانية: فاتح سمنگاوي ,ط١, مطبعة الثقافة ,لسنة ٢٠٠٩, ص٥٤٤

(٢) أدب الطفولة علم وفن. أحمد نجيب ص ٦٤.

وعرفها البعض (هي مجموع الخصال والطباع المتنوعة الموجودة في كيان الشخص باستمرار ، والتي تميزه عن غيره وتنعكس على تفاعله مع البيئة من حوله بما فيها من أشخاص ومواقف ، سواء في فهمه وإدراكه أم في مشاعره وسلوكه وتصرفاته ومظهره الخارجي ، ويضاف إلى ذلك القيم و الميول والرغبات والمواهب والأفكار والتصورات الشخصية)[١].

فالشخصية إذاً لا تقتصر على المظهر الخارجي للفرد ولا على الصفات النفسية الداخلية أو التصرفات والسلوكيات المتنوعة التي يقوم بها وإنما هي نظام متكامل من هذه الأمور مجتمعة مع بعضها ويؤثر بعضها في بعض مما يعطي طابعاً محدداً للكيان المعنوي للشخص.

فالشخصية عبارة عن كل منظم لكل إنسان يتضمن كل ما فيه من الصفات الجسمية والعقلية والانفعالية والروحية، بالإضافة إلى الخلق والمزاج اللذين يعتبران من شخصيته، كما أنها حصيلة من الصفات السلوكية التي تميز فرداً ما أو جماعة ما عن غيرهم من الأفراد أو الجماعات. وعلى هذا فالشخصية الإسلامية مجموعة من الصفات العقدية والأخلاقية والاجتماعية التي تميز المسلمين عن غيرهم في العقيدة والفكر والسلوك والتصرفات والأفعال والأقوال.

اما تعريف الشخصية الإسلامية هي تلك الشخصية السوية القائمة في مبادئها وأصولها وآدابها على الإذعان والانقياد لأوامر الشريعة طاعةً لله ورسوله . فهي الشخصية التي تتعلم آدابها وتستقي مبادئها من الكتاب والسنة ، وتتعرف على تطبيقات ذلك بالاقتداء بسلف الأمة ، والتأسي بالصالحين من أبنائها ، ممن لهم قدم صدق فيها . وقد حرص الإسلام على إبراز شخصية المسلم الحق ، وأكد على الأخذ بمقوماتها الإسلامية الأصيلة ، وأكثر من ذكر معالم هذه الشخصية وملامحها وركائزها وآثارها في كيان الأفراد والأمم ، لتُعرف الصورة الصادقة عن الإسلام الحق ، وأثره في حياة الناس . فالشخصية الإسلامية قائمة على الإيمان بالله ورسله والتصديق بوعده ووعيده ، متحلية بآداب الشريعة الكاملة من الصدق والأمانة والعفة والحياء والخلق الحسن وحسن الجوار والمسارعة في الخيرات والإعانة على فعل المعروف وكف الأذى ، إلى غير ذلك من أخلاق الإسلام.

---

(١) تحليل الشخصيات وفن التعامل معها, عبد الكريم الصالح, ٣.

المطلب الثاني: ضوابط الشخصية العلمية في الفكر الإسلامي

لعل من أبرز ما تهدف إليه الثقافة الإسلامية هو: الوقوف على معالم الشخصية الإسلامية، التي رسم معالمها وبين حدودها، وحقق وجودها رسول الله ﷺ على أرض الواقع، وفق ذلك المنهج الرباني الرشيد بعيداً عن أدران الجاهلية وشوائبها؛ فأحل العلم محلّ الجهل، والنور بدلا من الظلمة، والهدى بدلا من الضلال، وأحال ضعف العرب قوة، وتمزقهم وحدة، وعصبيتهم القبلية ولاء لله ورسوله، وجعل منهم أمة مؤمنة صادقة وقوية، وهي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

حياة الرسول ﷺ صفحة من صفحات الجهاد لإنقاذ البشريّة، ومثلاً صادقاً لمُثُلِ البرّ والمرحمة، وسيرة عالية، رفيعة الشأن، جليلة القدر، عظيمة النفع، كبيرة الفائدة، تلمع أضواؤها في الكتاب والسنّة وفق قواعد التحديث روايةً ودرايةً، متضمنة نفحات هذا الهُدى، وومضات ذلك الإشراق!

وما كان لباحث منصف يسعى إلى إيفاء حياة الرسول ﷺ حقها من البحث والتحليل، إلا أن يدرك أنها غنيّة بأحداثها، من حيث كونها:- واقعيّة مثاليّة- حركيّة أخلاقيّة - قياديّة روحيّة- فقهيّة حضاريّة.

ومن هذه الضوابط التي تحلت فيها الشخصية العلمية من منظور الفكر الإسلامي هي:

أولا: الإيمان :إنّ الإيمان هو من أهمّ ضوابط الشخصيّة الإسلاميّة، والإيمان هو العقيدة الرّاسخة في القلب، والتّصديق الجازم بوجود الله -تعالى- وعبادته وحده، ووصفه بصفاته الثابتة التي وُصف -عز وجل- نفسه بها، من غير تكييفٍ، أو تعطيلٍ، أو تحريف(١).

والشخصية المسلمة إيمانها العميق بالله تعالى رباً ويقينها بأنّ ما يجري في هذا الكون من حوادث، وما يترتب عليها من مصائر إنما هو بقضاء ربها وقدره، وأنّ ما أصابها لم يكن ليخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها، وما على الإنسان في هذه الحياة إلا أن يسعى في طريق الخير ويأخذ بأسباب العمل الصالح في دينه ودنياه، متوكلاً على الله، مسلماً أوامره لله، موقن أنه فقير دوماً لعونه وتأييده وتسديده ورضاه.

بالإضافة إلى التّصديق برسوله ﷺ وما أُرسِلَ به، والإيمان بأركانه كما وردت في حديث رسول الله ﷺ: (الإيمانُ: أنْ تُؤمن بِاللهِ ومَلائِكتِه ، وكُتُبِهِ، و رُسُلِهِ، و اليومِ الآخِرِ، و تُؤمن بِالقَدَرِ

(١) أثر القصص القرآني في غرس العقيدة من خلال قصة إبراهيم, صباح بنت نور مياه سركار علي سردار,إشراف: أ. د. حسين بن علي الزومي, كلية العلوم الإسلامية - قسم القران الكريم وعلومه,الطبعة: ١٤٣٦ هـ- ٢٠١٥ م, ص٣١.

خَيرِهِ و شَرِّهِ)[١].

وتتلخّص أهميّة الإيمان في بناء الشخصيّة بما يأتي:

١- يحثّ الإيمان صاحبه على التفكير وإعمال عقله في موجودات الأرض.

٢- يعزّز الإيمان الرّابط الروحيّ بين العبد المؤمن وخالقه. يزرع في نفس صاحبه راحة البال والطمأنينة، ويقضي على الخوف والفزع ويُبعِدُ عنه اليأس. المؤمن بالله -تعالى- يخضع له ولتعاليمه، وتكون له منهجيّة ومرجع محدّد وسديد في جميع أموره.

ثانيا: التمسك بالوحي الإلهي ، والانقياد للشرع ، فالمسلم لايقدم على كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ شيئا ، فإنقياده لله وحده ، واستسلامه لربه لاشريك له ، وهذا هو معنى الإسلام ، كما قال تعالى {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (البقرة: ١٣١)، وقال تعالى (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) [الجاثية: ١٨].

ثالثا: العلم يعتبر العلم أساساً في عناصر بناء الشخصيّة الإسلاميّة، فمن أين ستتكوّن هذه الشخصيّة وتُبنى إذا ما اجتهد الإنسان وبذل وسعه في تلقّي العلم في مجالِسِهِ وأماكنه، فلا قيمة للإنسان بغير علمٍ يُثري فِكره ويجعله مُلمّاً بأمورِ دينه وأحكامه في جميع الأمور.وممّا يدلّل على أهمية العلم في الإسلام أنّ الله -تعالى- لم يأمر نبيه بطلب الاستزادة من شيءٍ سِوى العلم، فقد قال -عزّ من قائل-: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا).[طه: ١١٤]

رابعا: مجالها تعليم الناس وتربيتهم على العقيدة الصحيحة وتزكية النفوس قولا وفعلا ، بالعمل بمقتضى الشرع وأحكام تعاليم الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) آل عمران/ ١٦٤

خامسا: الأخلاق وهي مجموعة الصّفات الحسنة التي دعت إليها الشريعة الإسلاميّة، ومصدر هذه الأخلاق هو القرآن الكريم، وسنّة رسولنا ﷺ، فقد قال الله -تعالى- عن رسوله الكريم: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[القلم: ٤]، ووصفته أمُّ المؤمنين عائشة -رضيَ الله عنها-: (كان خُلُقُه القرآنَ)[٢]، وتكمُن أهمية الأخلاق لبناء الشخصيّة الإسلاميّة في أنّها تُكوّن مجتمع صالح، متماسك، يحبُّ بعضه بعضاً، وذلك يؤدّي إلى وحدة المسلمين، وقوّتهم، وعزّتهم، وتضامنهم.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٧/١ في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب ١٨ ج ١ ص ٥١٣.

فالمسلم ذو خلق كريم ،يحبّ مكارم الاخلاق ، كالشجاعة ، والجود ، والحلم ، وهو لايظلم، ولا يجهل ، ولا يعتدي ، فهو عفيف في جوارحه كلها : عفيف البصر ، لاينظر إلى المحرمات، عفيف الفرج لايزني ، عفيف اللسان لايغتاب ، ولايؤذي المسلمين بلسانه ، ولا يخوض في عورات الناس ، عفيف اليد لايسفك دما حراما ، ولا يسرق ، كما في الحديث (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[١].وهذا لا يعني بحال أنّ الشخصية الإسلامية شخصية معصومة من الأخطاء والمعاصي؛ لا، بل هي شخصية بشرية تخطئ وتصيب، مصدقا لقوله ﷺ : «وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[٢]. وإنما العصمة للأنبياء وحدهم.

سادسا:تتمسك بما كان عليه أسلافهم من قبل من تجريد التوحيد وصحة الانتماء وقوة الولاء لدين الله ، وتمام التبرؤ من أعداء الله وعقائدهم ومبادئهم ، مع التخلق بأخلاق الإسلام ، وقد قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) . رواه أحمد (٨٧٢٩).

سابعا: القدوة الحسنة حتى تتحقّق الصفة المُثلى للشخصيّة الإسلاميّة لا بُدّ أن يتوافر لهذه الشخصيّة القدوة الجيّدة والحَسنة، ولا أفضل ولا أزكى من رسول الله ﷺ، وسيرته العَطِرة ليكون القدوة الحسنة لكلّ مسلم، فقد قال -تعالى-: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)،[الأحزاب: ٢١] وكذلك صحابته الكرام -رضوان الله عليهم-؛ فقد ضربوا أروع الأمثلة في الشخصيّة الإسلاميّة المثاليّة بعد رسول الله ﷺ.

ثامنا: الإحسان إلى ذوي الإحسان من الوالدين والأقارب والأرحام والجيران، والبر بهم والاهتمام بأمورهم، كم أنها تتعامل مع المسلمين بأخوة الإيمان وهي أمتن الروابط، وأوثق العرى وأعلى الصلات، ولا يغيب عن بال المسلم أنّ الإسلام الذي حض على التآخي والتحاب والتعاطف هو الذي حرم التقاطع والتدابر والهجر، وأنّ الهفوات العارضات لا تفرق بين المتحابين الصادقين في الله.

تاسعا : السلوك السوي إنّ الشخصية الإسلاميّة هي الشخصيّة السويّة التي يتحلّى أصحابها بالسّلوك السَّوي، والسّلوك السويّ هو الذي لا يُنافي فطرة الله -عزّ وجل- التي فطر النّاس عليها في أحواله كلّها، فالشخصيّة الإسلاميّة السويّة هي الشخصيّة التي أراد الله -تعالى- أن يكون الإنسان عليها، و هي عكس الشخصيّة الممسوخة التي تعيش حياتها مشوشة الفكر، لا تعرفُ للحقّ طريقاً، وتظنُّ أنّها على الإسلام ولكنّها لا تملك من الإسلام إلّا قشوره. والسّلوك السويّ

(١) البخاري: الإيمان (١٠) , ومسلم: الإيمان (٤٠) , والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩٦).
(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨)، والترمذي (٢٤٩٩).

يعني أيضاً الاستقامة والثبات على مبادئ الدّين الإسلاميّ، والتمسّك بتعاليمه في كل مجالات الحياة، ونرى أهميّة ذلك في أثر تعاملات النّاس، ومنها ما كان سابقاً من إقبال النّاس على الدّين الإسلامي والدّخول فيه؛ لأنّهم رأوا السّلوك السويّ المستقيم لتجّار المسلمين الذين كانوا يجوبون البلاد بهدف التّجارة، فساهموا بنشر الدّين الإسلاميّ.

عاشرا: العاطفة المتزنة من العناصر الهامّة للشخصيّة الإسلاميّة اتّزان العاطفة، فلكلِّ إنسانٍ قلب وعاطفة، والعاطفة هي لين القلب، وبها معاني الرأفة والرّحمة، ولكنّ المسلم يوازن بين قلبه وعقله في اتّخاذ قرارته، فليس من السّليم أن يتّخذ قرارته معتمداً على عاطفته فقط ويضع العقل جانباً، والعكس صحيح، وسيرة النبيّ ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم- مليئة بتلك المواقف التي يتجلّى بها التوازن في الأفعال، والمشاعر، الأفكار.

احد عشر: الإرادة القوية تعتبر الإرادة القويّة من عناصر بناء الشخصيّة الإسلاميّة، فهي تقوّي شخصية الفرد المسلم، وتُعلي همّته، و تقوّي عزيمته، وتزرع في نفسه الثقة، فيُقدِم على فعل الخير وتحقيق ما يريده، فضعيف النّفس والعزيمة قد يُسلّم نفسه وينصاعُ للآخرين، وهذا غير مرغوبٍ في الشخصيّة الإسلاميّة التي يقع على عاتقها خدمة دين الله -تعالى- ونشره، ويكون ذلك بالإرادة القويّة والهمّة العالية.

اثنا عشر: الثقافة الواسعة إنّ الثقافة من الأمور الهامّة التي ينبغي توافرها في شخصية المسلم، فيُعرَف قدرُ الشخص ومكانته بقدرِ ما يحصل على ثقافات ومعارف، فالثقافة إنّما هي سلاحٌ للمؤمن يحمي به نفسه ممّا يتعرّض له المجتمع من نَزَوات و أفكار خارجة عن الدّين والأخلاق، والثقافة كالهويّة الشخصية المميّزة للفرد المسلم، فتنعكس هذه الثقافة على نفس المسلم، وشخصيّته، وسلوكاته.

المبحث الثاني
المقومات الأخلاقية في الحضارة الاسلامية

جعل القرآن الكريم حديثه في عقائده، وعباداته، وتشريعاته، وآدابه، وأخلاقيّاته، ونظمِه في بيان علاقات الناس الاجتماعية، متصلاً أكمل اتصال بسيرة الأنبياء والمرسلين؛ لأنهم جميعاً لبنات في بناء الحضارة المثلى الرفيعة، التي جاءت رسالة خاتم النبيّين ﷺ لتكميلها، كما قال رسول الله ﷺ فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنَّ مثَلي ومثلَ الأنبياء مِنْ قبْلي كمثَل رجل بَنى بيتاً فأحسنَهُ وأجمله، إلاّ موضِع لبِنة مِنْ زاويةٍ، فَجعَل الناسُ يطوفونَ بهِ، ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبنة؟ قال: فأنا اللَّبنةُ، وأنا خاتم النبيين» (١).

فهذا الحديث الشريف يضع النبوّة في أفقها الواقعي من آفاق الحياة، ويضع حملة لوائها من المصطفين لتلقّي كلمات الله في ذروة بناء الحضارة الإنسانية، حتى كأنهما حقيقة واحدة، هي التي تصنع الحياة، وتبني الحضارة الفكريّة والماديّة في صورة إنسانيّة موحّدة الإحساس والشعور والاتجاه!

وقد بين الرسول ﷺ انه جاء برسالة صالحة لاصلاح الحياة الإنسانية بكافة جوانبها,تقوم على القيم الروحيّة، والفضائل الخلقيّة، ومبيّناً مكانته منهم في رسالته الخاتمة، مكمّلاً ما أسّسوا، وما أقاموا من حضارات إنسانيّة رفيعة الشأن! فقال ﷺ: «إنما بُعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق» وفي رواية: «صالح الأخلاق» (٢).

ويبيّن -أيضاً- أن بناء الحضارة الذي أقامتها النبوّة بكلمات الله ووحيه ليس بناءً ماديًّا كأبنية الناس في حضاراتهم الماديّة، ولكنه بناء روحاني يقوم على دعائم الأخلاق والفضائل، ومحاسن الشيم والشمائل التي شيّدوا بها بناء الحضارة الفكريّة والاجتماعيّة!

وقد أبان الحديث عن عمل النبوة باعتبارها الحقيقة العظمى المسيطرة على التفكير في إقامة صرح البناء الحضاري، بإسهام كل نبيّ وكل رسول في إرساء هذا البناء حتى جاء خاتم النبيّين ﷺ، وكمّله برسالته الخاتمة الخالدة!

---

(١) رواه البخاري (٣٥٣٥) / كتاب المناقب/ باب خاتم النبيين ﷺ، ومسلم (٢٢٨٦) / كتاب الفضائل/ باب ذكر كونه خاتم النبيين ﷺ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة (٨٧٢٩).

والنبوّة في عمومها حرية أن تكون بمنزلة من التاريخ البشريّ ترفعها فوق كل منزلة من منازل حقائق الحياة وفضائلها .. ورسالاتُ الله تعالى إلى الناس لإخراجهم من ظلمات الضلالات إلى نور الهداية جديرة أن تكون بموضع من مسيرة الإنسانية، يسمو بها إلى أرفع مكان في ذروة تاريخ الحياة!

اما من اهم مقومات الشخصية العلمية في الحضارة الإسلامية فهي :

أولا: إخلاص النية والقصد بالتفقه وجه الله عز وجل، قال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)(١).. فلا بد أن تكون له نية،فإخلاص النية لله تعالى لم يزل شرعا لمن قبلنا ثم لنا من بعدهم. قال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً} (الشورى: من الآية ١٣) . قال أبو العالية: «وصاهم بالإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له»(٢).

ثانيا:الابتعاد عن التعالم, وعدم الإفتاء بغير علم, وقد روي عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ:«من أفتى بغيرِ علمٍ كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيهِ بأمرٍ يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه»(٣) . قال الحافظ : «وإذا تكلم المرء في غير فنه أتى بهذه العجائب»(٤)، ويعرف متى يقول لا أدري، قال تعالى:{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} [الإسراء:٣٦]، قال العلامة الشنقيطي -رحمه الله- : «نهى جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن اتباع الإنسان ما ليس له به علم، ويدخل فيه كل قول بلا علمٍ، وأن يعمل الإنسان بما لا يعلم».(٥)

ثالثا: ترك التقليد الاعمى والتعصب واتباع الهوى, لقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} [الزخرف:٢٣].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١، ومسلم رقم ٤٩٠٤.

(٢) فتح الباري ١/ ١١.

(٣) رواه أبو داود في سننه (٦٦/٤) كتاب العلم، حديث رقم (٣٦٥٧).

(٤) فتح الباري لابن حجر - (ج ٥ / ص ٤٤٦).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن, محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ),دار الفكر, بيروت – لبنان,١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ١٤٥/٣.

التقليد هو قبول قول القائل من غير معرفة لدليله وكما قال ابن القيم: «ولا خلاف بين الناس أن التقليد ليس بعلم وأن المقلد لا يطلق عليه اسم عالم[١].

رابعا: إضافة كل قول إلى قائلها: فإذا فرت فائدة من أخيك الطالب فأعز ذلك إليه.عن أبو عبيد القاسم بن سلام أنه قال: «أن من شكر العلم أن تجلس مع الرجل فتذاكره بشيء لا تعرفه فيذكره لك ثم ترويه وتقول: إنه والله ما كان عندي في هذا شيء حتى سمعت فلاناً يقول فيه كذا وكذا فتعلمته, فإذا فعلت ذلك فقد شكرت العلم[٢].

قال إمام النووي: «ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التى تستغرب إلى قائلها, فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله, ومن أوهم ذلك وأوهم فيما يأخذه من كلام غيره أنه له فهو جدير أن لا ينتفع بعلمه ولا يبارك له في حاله. ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها.

خامسا: الحرص على معرفة أصول المسائل وقواعدها وقيد كل شيء يمر به من هذا القبيل فقد قيل:»من حُرم الأصول حُرم الوصول»؛ فنبغي أن يتلقى القواعد والأصول التي تتفرع عليها المسائل الجزئية؛ لأن الذي يتعلم على المسائل الجزئية لا يستطيع أن يهتدي إذا أتته معضلة فيعرف حكمها؛ لأنه ليس عنده أصل[٣]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «فإن معرفة أصول الأشياء ومبادئها ومعرفة الدين وأصله وأصل ما تولد فيه من أعظم العلوم نفعاً»[٤].

سادسا: الاستقلال الفكري: فإن المسلم يسير في أفكاره وتصوراته على ما يوافق الشرع المطهر، ففكره سليم، وتصوره نزيه، متميزاً فيه عن الأفكار الدخيلة، والتصورات الملوثة، حذراً من كل فكر فاسد، ونظر مشوب، مما طفحت به المجتمعات من الأفكار الإلحادية المخالفة للكتاب والسنة.
سابعا: يدري كيف ينزل الناس منازلهم، بما يلائم أحوالهم من العلم بالكتاب والسنة، وصحة الاعتقاد، والاتباع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في :»نعوذ بالله سبحانه مما يفضي إلى الوقيعة في أعراض الأئمة، أو انتقاص أحد منهم، أو عدم المعرفة بمقاديرهم وفضلهم، أو محادتهم

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين, أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ), دار ابن الجوزي,ط١، ١٤٢٣ هـ, ٨٦/٢

(٢) أخرجه الخطيب في الجامع (٢/ ١٥٤)

(٣) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين,محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، دار الوطن - دار الثريا, ١٤١٣ هـ,٢٢٥/٢٦

(٤) مجموع الفتاوى, تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) - المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم,مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية, ١٤١٦هـ/١٩٩٥م, ٣٦٨/١٠

وترك محبتهم وموالاتهم، ونرجو من الله سبحانه أن نكون ممن يحبهم ويواليهم ويعرف من حقوقهم وفضلهم ما لا يعرفه أكثر الأتباع، وأن يكون نصيبنا من ذلك أوفر نصيب وأعظم حظ، ولا حول ولا قوة إلا بالله».(١)

ثامنا: المسلم ذو شخصية تحمل رسالة الإصلاح ، والعطاء ، والبناء : فالمسلم معطاءٌ ، يحبَّ الخير للناس ، ويجود به ، ويسعى إلى نشره ، ويحارب الشرّ ، والفساد ، كما قال تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠]. والمسلم يحب البناء الخيّر في كلّ شيء ،فهو يبني بالخير نفسه ، وأسرته ، ومجتمعه ، ويسعى في تنمية الجوانب المشرقة في كلّ الحياة ، ويحرص دائباً على تطويرها إلى الأحسن ،

وقد كانت حياةُ النبيّ ﷺ ، كما في سيرته العطرة ، كلُّها في البناء والإصلاح ، فقد بنى أعظم أمّة ، قدّمت للبشريّة أروع بناءٍ حضاريّ ، في جميع جوانب الحياة .

تاسعا: يقول لمن أحسن قد أحسنت، ويقول للمخطئ قد أخطأت. ويعجبني ما قاله الحافظ الذهبي -رحمه الله- في ترجمة الإمام ابن حزم -رحمه الله-: «قلت: ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة, تقع له المسائل المحررة والمسائل الواهية كما يقع لغيره, وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله, ﷺ»(٢).. وصدق الحافظ الناجي -رحمه الله- إذ يقول «كيف يكمل تصنيف أو غيره، والكمال المطلق إنما لله جلت عظمته، وقد قال عن كتابه القرآن المعجز المتحدى به الثقلان: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} [النساء:٨٢]. والإنسان مجبول على السهو والنسيان ومن يسلم من هفوات الأوهام، وعثرات الأقلام، ومن ظن ممن يلاقي الحروب بأن لن يصاب فقد ظن عجزاً، والنار قد تخبو، والجواد قد يكبو، والصارم قد ينبو»(٣).

---

(١) إقامة الدليل على إبطال التحليل,تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ),تحقيق: حسنين محمد مخلوف,دار المعرفة، بيروت، لبنان,٨٢.

(٢) تذكرة الحفاظ,شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ),دار الكتب العلمية بيروت-لبنان,الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م,٢٣١/٣.

(٣) عجَالة الإملاءِ المتَيسرةِ من التذنيب,لِما وقَع للحَافِظ المنذِري مِنَ الوَهْم وغيره في كِتابه «الترغيب والترهيب»,إبراهيم بن محمد بن محمود بن بدر، برهان الدين، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشافعيّ الناجي (المتوفى: ٩٠٠هـ),تحقِيق وَدِرَاسة: الدكتور إبراهيم بن حماد الريس، الدكتور محمد بن عبد الله بن علي القنّاص, مَكتَبَة المعَارف ، الرياض,الطبعة: الأولي، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م, ١٤٠/١.

عاشرا: القيام بحقّ الأمانة ، فالمسلم يعلم أنّه بدينه ، يحمل أمانةَ دعوة الرسل والأنبياء جميعا ، فهو بإسلامه عنوان لها ، فلهذا هو حريصٌ على تمييزها عن كلّ باطلٍ من الأديان ، والأفكار ، والمناهج الأخرى ، فهو لايجامل في إيضاح الحقّ الذي يحمله مما دلّ عليه دينُه، وفي فصله عن الباطل الذي هو غير دين الإسلام ، من كلّ الأديان والمناهج الأخرى ؟بل هو يقول بوضوح إنّ الناس جميعا ، ينقسمون في موقفهم من الهُدى ، إلى قسمين لاثالث لهما :

إلى أهل الحقّ والنور وهم أتباع محمّد ﷺ فحسب ، وإلى أهل الباطل والظلمات ، وهم من لمْ يدخل في دين الإسلام ، كما قال تعالى {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢٥٧].

ومن حمْلِ المسلم لهذه الأمانة بحقّ ، أنه يُشفق على الناس من غير المسلمين ، ويترفّق بهم في معاملتهم ، ويُحسن إليهم ـ في غير المقامات التي تتطلب غير الرفق ـ حتى يروا في سماحة الإسلام أُنموذجا لحضارته السمحة ، المشرقة بالخير ، فيكون ذلك سببا لدخولهم في دين الله .

احد عشر: التواضع من غير ذُلٍّ :يقول تعالى {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} [الفرقان: ٦٣]،.وقال سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر:٨٨].. يقول عليه الصلاة والسلام (وما تواضع عبد لله إلا رفعه)(١).

مع كراهية حب الظهور الذي يقصم الظهور، وكثيراً ما سمعنا قول العلماء بحق:»ما أنا إلا طويلب علم». وقد ابتلينا في زماننا بمن يصدق عليه المثل المعروف:»تزبب قبل أن يتحصرم». فتراه في الفضائيات، يفسر القرآن، ويفتي، ويشرح كتب السنة، ويألف الكتب، ويدرس في الجامعة!!

اثنا عشر: يرجع إلى الحق إذا نبه على سهوه، أو أوقف على غلطه، فلا يستنكف عن قبول الصواب، إذ الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، والمتمادي في الباطل لم يزدد من الصواب إلا بعداً، فقد رؤى عبد الرحمن بن مهدي قال :»كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن وهو على القضاء، فلما وضع السرير جلس وجلس الناس حوله. قال: فسألته عن مسألة فغلط فيها، فقلت: أصلحك الله القول في هذه المسألة كذا وكذا إلا أني لم أرد هذه، إنما أردت أن أرفعك إلى ما هو أكبر منها، فاطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: إذا أرجع وأنا صاغر إذا أرجع وأنا صاغر؛ لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل». قال: قال عبد الرحمن: لو أراد

(١) النووي في «شرحه لصحيح مسلم» (١٦/ ١٤٢).

أن يتمادى في الخطأ ويخطئني لأمكنه وأعانه من حوله فصوبوه وخطئوني»[١].

ثلاثة عشر: العدالة مع المخالفينيقول تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (سورة المائدة:٨).

فالعالم يقدر متى يكون الاختلاف في الرأي, لا يفسد للود قضية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- «وقد علمتم أن السلف كانوا يختلفون في المسائل الفرعية, مع بقاء الألفة والعصمة وصلاح ذات البين». وقال يونس بن عبد الأعلى الصدفي:»ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة»[٢].

أربعة عشر: يدرك أن من بركة العلم، نسبة كل قول إلى قائله، ولا أجد بداً من أن أذكر ما قاله الإمام النووي رحمه الله في «بستان العارفين»:»ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها، فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله، ومن أوهم ذلك وأوهم فيما يأخذه من كلام غيره أنه له: فهو جدير أن لا ينتفع بعلمه، ولا يبارك له في حال. ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها. نسأل الله تعالى التوفيق لذلك دائماً»[٣]، لكي لا يتشبع بما ليس له لقوله ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»[٤].

خمسة عشر: يخاف على نفسه من المداحين، وقد روي عن عدي بن أرطاة قال: كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زكي قال:»اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون»[٥]. وفي المدح ذبح، قال المناوي لأن المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور أو لأن المدح يورث العجب والكبر وهو مهلك كالذبح فالمدح مذموم سيما إن كان فيه مجازفة[٦].

---

(١) المعرفة والتاريخ, يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (المتوفى: ٢٧٧هـ),المحقق: أكرم ضياء العمري, مؤسسة الرسالة، بيروت,الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م,٧١٦/١.

(٢) سير أعلام النبلاء,شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) - المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط, مؤسسة الرسالة ط٣ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م(١٦/١٠).

(٣) بستان العارفين, أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ), دار الريان للتراث(١٥-١٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه, كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل، رقمه (٥٢١٩).

(٥) صَحْيح البخاري , الْأَدَبِ الْمُفْرَد: ٥٨٩.

(٦) السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير, الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي (٢٢٧/٢).

ستة عشر: الاعتزاز بدينه ، فالمسلم يعتزّ بدينه ، ويفخر به ، ويدعو إليه ، ويجاهد في سبيل رفعته ، ذلك أنّه يعلم علم اليقين ، أن الإسلام هو الدين الحقّ ، الذي لايقبل الله سواه ،قال تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} . [فصلت: ٣٣].وقال تعالى:{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥]

سبعة عشر: لا يغتر بما حصله من العلم، ويدرك حقيقة قول ربنا في كتابه:{وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} [الإسراء:٨٥].

ثمانية عشر: أن يبتعد عن التقاط الشواذ من الأقوال، وتبني الآراء المهجور؛ إنما يتعلم كيفية رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها, قال الإمام الشاطبي - رحمه الله -: « ... الإنسان لا ينبغي له أن يعتمد على عمل أحد البتة، حتى يتثبت ويسأل عن حكمه؛ إذ لعل المعتمَد على عمله يعمل على خلاف السُنّة، ولذلك قيل: لا تنظر إلى عمل العالم، ولكن سَلْه يصْدُقْك، وقالوا: ضعف الروية أن يكون رأي فلانًا يعمل فيعمل مثله، ولعله فعله ساهيًا»[١]

تسعة عشر: ألا ينتمي لحزب أو جماعة؛ فإن طالب العلم إذا انتمى إلى حزب أو جماعة، ينشغل عن تحصيل العلم، ويتفرغ للدفاع عن قضايا جماعته، وتبرير ما يصدر عنها من أفعال وأقوال، كما هو مشاهد.

عشرون : ينبغي أن يكون صاحب أناة وتؤدة، وترك عجلة، حافظاً لدينه، حريصاً على استطابة مأكله، متورعاً عن الشبهات[٢].

احد وعشرون: أن يكون مواظباً على مروءته، له حلم، ووقار، وسكينة، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- «فليس صاحب العلم والفتيا إلى شيء أحوج منه إلى الحلم والسكينة والوقار، فإنها كسوة علمه وجماله، وإذا فقدها كان علمه كالبدن العاري من اللباس»[٣]. وأخرج الخطيب عن الإمام مالك -رحمه الله- أنه قال:»إن حقاً على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية،

(١) الاعتصام (٢/ ٥٠٨).

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٣٣٣/٢)

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين, أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ), دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية, ط١، ١٤٢٣ هـ,(١٠٧/٦).

وأن يكون متبعاً لأثر من مضى قبله»[١].

اثنان وعشرون: العالم المسلم يعامل الناس بالحسنى، ويعرف لكلّ ذي حقّ حقّه، فللوالدين أعظم الحقوق، ثم للزوجة والأولاد، وللأرحام ،ولسائر المسلمين، ثمّ لكلّ الناس، وفي الحديث: (وخالق الناس بخلق حسن) وفيه : (إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق) رواه الحاكم وغيره .

ثلاثة وعشرون: عليه أن يحفظ فضل شيوخه وأساتذته، ويعلم أنه حسنة من حسناتهم.

أربعة وعشرون: أن يعلم أن اقتضاء العلم العمل، أي عليك العمل بالعلم الذي تعلمته، قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد:١٩]. قال البخاري في «صحيحه» في كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعملقول الله تعالى:{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ} فبدأ بالعلم. قال العيني -رحمه الله-»أي هذا باب في بيان أن العلم قبل القول والعمل أراد أن الشيء يعلم أولاً ثم يقال ويعمل به، فالعلم مقدم عليهما بالذات، وكذا مقدم عليهما بالشرف؛ لأنه عمل القلب وهو أشرف أعضاء البدن[٢]. و قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (قال بن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل)[٣].

خمسة وعشرون: العالم المسلم يوازن بين حاجات الجسد والروح ، ومتطلبات الدنيا ، والآخرة، فهو لايظلم نفسه بمنعها مما أباح الله تعالى بغير إسراف ، في الأكل، والشرب ، والنكاح، وسائر المباحات ، مما فيه بهجة النفس ، وراحة الجسد ، فلا رهبانية في الإسلام .وقد قال تعالى {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف: ٣٢] غير أنّ المسلم يتجنّب أيضا ما يُشين النفس ، من المحرّمات ، ويُعطي روحَه حقّها بالأعمال الصالحة والحسنات ، فإنّها لاتزكوا إلا بالعمل الصالح.

ستة وعشرون: ألا يكون حريصاً على التصدر والتأليف والتصنيف مبكراً، ومن حكيم كلام الإمام أبو الطيب، سهل بن محمد بن سليمان بن محمد، الصعلوكي النيسابوري: «من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه»[٤]. وشرح ذلك الشيخ ابن عثمين -رحمه الله- بقوله: «ممل يجب الحذر منه، أن

(١) (جامع بيان العلم وفضله) (١/ ٧١٠/رقم:١٢٨٧)
(٢) عمدة القاري، العيني، ٢/ ٤٧٦.
(٣) فتح الباري، ابن حجر، ١/ ١٦٠.
(٤) سير أعلام النبلاء (٢٠٨/١٧)

يتصدر الإنسان قبل أن يكون أهلاً للتصدر؛ لأنه إذا فعل ذلك كان دليلاً على عدة أمور:

الأول: إعجابه بنفسه، حيث تصدّر فهو يرى نفسه علم الأعلام.

الثاني: أن ذلك يدل على عدم فقهه ومعرفته بالأمور، وإذا الناس رأوه متصدراً، أوردوا عليه من المسائل ما يبين عواره.

الثالث: أنه إذا تصدر قبل أن يتأهل، لزمه أن يقول على الله ما لا يعلم؛ لأن غالب من كان هذا قصده لا يبالي أن يحطم العلم وأن يجيب عن كل ما سئل عنه.

الرابع: أن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق؛ لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره، وإن كان معه الحق كان هذا دليلاً على أنه ليس بأهل في العلم"[1].

وقد استشرى في زماننا داء التصدر قبل التأهل بين طلبة العلم، ومن أسبابه انتشار القنوات الفضائية، وكذلك تشجيع بعض طلبة العلم الكبار تلامذته على التصنيف المبكر.

سبعة وعشرون: الثبات في الرخاء والشدةوهذا ثمرة الإيمان الحق، فبه يوقن المؤمن أن ما أخطأه ما كان ليصيبه، وما أصابه ما كان ليخطئه، فيُسَر ويشكر في السراء، ويصبر ويرضى في الضراء.

وآيات القرآن الكريم تمثل أعظم وأقوى عوامل التثبيت لأهل الإيمان وفيها قوله تعالى عن القرآن {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}.

ولسان حال المؤمن دائماً {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}، وقال الرسول الكريم عليه أتم الصلوات والتسليم في بيان فضل هذا الاستقرار والثبات النفسي (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[2].

ثمانية وعشرون: أن يكون حريصاً ما أمكنه أن يعرف رأي علماء عصره ومشايخه فيه، فيطمئن لما حصله من العلم، فأخرج الخطيب في «الفقيه والمتفقه» عن خلف بن عمر، صديق كان لمالك، قال: سمعت مالك بن أنس -رحمه الله- يقول: «ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني: هل يراني موضعا لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك، فقلت له: يا أبا عبد الله لو نهوك، قال: كنت أنتهي، لا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل

---

(١) شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين, بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩ هـ) شرح: محمد بن صالح العثيمين. ١٩٠

(٢) مسلم: كتاب الزهد والرقائق باب: المؤمن أمره كله خير. رقم (٢٩٩٩)

من هو أعلم منه".[١]

تسعة وعشرون: التعاون والتعاضد والتفاعل في الخير، وأصل ذلك توجيه القرآن الكريم {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: ٢].

ومن ذلك الدعوة للخير وتعليم الجاهلين قال تعالى {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (آل عمران: ١٠٤),وقوله تعالى عن وظيفة النبي عليه الصلاة والسلام وأتباعه من الدعوة إلى الله على علم وهدى {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [سورة يُوسُفَ: ١٠٨].

ومن هذا أيضاً قوله تعالى {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} فينفي الله تعالى الخيرية عن أعمال الناس كلها، إلا تلك الأعمال التي تعود بتحقيق التكافل، والترابط، والألفة، والمحبة، والتصالح، على المجتمع بأسره.

احد وثلاثون: ألا يغلق نفسه على عالم واحد، أو على علماء بلده، بل يبحث عن العالم بالكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة، وبهذا يتجنب أهل البدع والأهواء، وأصحاب المناهج المنحرفة في كل زمان ومكان. ثم إن وسائل الاتصال أصبحت متنوعة، ومتاحة، تجعل التلقي أكثر سهولة ويسر.

اثنان وثلاثون: والمسلمُ يحبّ معاني الجمال في كلّ شيء ، ويطلق حبّه في هذا الميدان الرحب ، في حدود مرضاة الله ، ويسعى لتمثّل هذه المعاني في نفسه ، وفيما حوله من جوانب الحياة ، ففي الحديث، (إنّ الله تعالى جميلٌ يُحبُّ الجمال ، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ،ويبغض البؤس والتباؤس)[٢].

وفي الحديث : (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا, وإن الله أمر المؤمنين بما أرسل به المرسلين فقال {يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم} ، وقال {يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم} ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك).[٣]

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى, أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ), تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي, دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت, ٤٤٠.

(٢) شعب الإيمان (٨/ ٢٦٣) (٥٧٩٠) ومسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ٣٢٠) (١٠٥٥).

(٣) صحيح مسلم : ٢ / ٧٠٣ . ط : دار إحياء التراث العربي بيروت.

ولهذا كان النبي ﷺ ، حريصا على تكميل شخصيّة المسلم ، في جميع الأمور حتى في بعدها الجمالي ، من ذلك أنه ﷺ قال : (لولا أنّ أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسواك عند كلّ صلاة) متفق عليه ، وكان يغيّر حتى الأسماء غير الحسنة ، إلى أسماء حسنة تبعث في النفس التفاؤل ؟

كما حضّت شريعته ، ودلّت سيرته ، على استحباب التكميل الجمالي ، من لبس الحسن من الثياب ، وإكرام الشعر ، والعناية بحسن المظهر ، وكان إذا بعث سفيرا بعثه حسن الوجه ، والثياب، كريم الخصال ، والخطاب، كما كان يحبّ ويدعو إلى تحسين الصوت في قراءة القرآن، وما ورد من أمره بالعناية بتنظيف البيوت ، وتطهير المساجد ، والاغتسال في المجامع العامة ، وكل ذلك يدل على عناية الإسلام بالبعد الجمالي في الحياة.

كما قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} وبهذه الجوانب تكتمل معالم الشخصية الإسلامية، وماهي باكتمال معالمها ، سوى آية من آيات روعة هذا الدين ، ودليل على صدق نبينا ﷺ وعظمة مدرسته.

وبالوقوف على مجمل ما في هذه النصوص وغيرها من النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة، يتبين أنّ الشخصية الإسلامية شخصية سوية واعية مخلصة، ملتزمة بدين ربها، متزنة متكامله، مجاهدة في سبيل ربها، لها ذاتيتها المستقلة التي تميزها عن غيرها.

وهذا ما نلمسه بوضوح في عبادتها وعادتها ومظهرها وفي كل شأنها، وأساس ذلك كله إيمانها بعقيدتها ومبادئ دينها الحنيف وأساسه إيمانها بالله تعالى وحده عماد حياتها وقوام وجودها.

المبحث الثالث
الشخصية العلمية في الحضارة الإسلامية وأثرها على المجتمع الأوربي

المطلب الأول: الشخصية العلمية الإسلامية ودورها في المعارف العلمية:

ان الشخصية المسلمة بحكم كونها مسؤولة وصاحبة رسالة سامية في الحياة، وجب عليها أن تكون شخصية اجتماعية فعالة مؤثرة، تخالط الناس وتصبر على أذاهم، وتعاملهم بخلق الإسلام الرفيع الذي يميزها عن غيرها من البشر.

وحيثما وجد الشخص المسلم الواعي، كان منارَ إشعاع ومشكاة هداية، ومصدر توجيه وإرشاد وعامل بناء وتسديد، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وذلك لأن الشخصية المسلمة التي استنارت بهدي ربها في القرآن المجيد، وارتوت من معين السنة المطهرة، شخصية اجتماعية راقية مؤهلة لتقوم بواجبها الدعوي ومسؤليتها تجاه مجتمعها.

في هذا كله تجسدت شخصية المسلم السوية كما أرادها الإسلام أن تكون.

إن الحضارة الإسلامية والسلوك الإسلامي لم يكونا من صنع أحد من البشر، وإنما هما وحي الله الذي تنزل على سيد البشر محمد _ ﷺ _ وأصبح يملأ أرجاء الدنيا نورا وعلما وسلوكا، وسوف يظل يشع نوره باقيا ما بقي الإنسان.

فالمسلمون قاموا في الماضي بدور من أمجد أدوار التاريخ الإنساني.. وإنهم لأهل لأن يقوموا بمثله مرة أخرى. وأن العلماء العرب في عصور الإسلام الزاهية، قاموا بدورهم الطليعي خير قيام في بناء النهضة العلمية العالمية، ولا يخفى ما كانت عليه عاصمة الخلافة الإسلامية (بغداد) و مدى ضخامة ما كان من التراث الفكري الإسلامي في (بغداد) عاصمة الإسلام يومئذ، وكان في مكتباتها من آثار أقلام علماء الإسلام ومفكّريه وباحثيه، من المفسّرين، والفقهاء، والمحدّثين، والأصوليّين، واللغويّين، والأدباء، والمؤرخين، والناظرين في علوم الأوائل في الفلسفة والفلك، وآثار الفرق والمذاهب، والملل والنحل، ما لا يمكن أن يحصره الحساب والتعداد!

فقد الفوا وابتكروا واخترعوا في العلوم بجميع اختلافاتها واختصاصاتها, كما و نقلوا التراث الإغريقي وغيره من ألوان التراث العلمي الذي تقدم عليهم في التاريخ.. نقلوه إلى اللغة العربية التي كانت لغة العلم في العصور الوسيطة فعلى امتداد الدولة العربية الإسلامية من مشارف الصين شرقا إلى حدود فرنسا وجنوب إيطاليا غربا.. كان كل من أراد أن يكتب علما يقرؤه الناس لجأ إلى لغة

القرآن الكريم، فكتب وألف بها، وظلت كتبهم في العلوم الطبيعية المراجع المعتمدة في جامعات أوربا حتى أواخر القرن السابع عشر حيث ترجمت إلى اللغات اللاتينية وما إن عرفت الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر، حتى طبعت هذه الكتب عدة مرات، وشهد كثيرون من مؤرخي العلم من أمثال سارتون، وهولمبارد، وسميث، وكاجوري. وغيرهم بأنه لولا تراث العلماء العرب، لاضطر علماء النهضة الأوربية إلى أن يبدءوا من حيث بدأ هؤلاء. ولتأخر سير المدنية عدة قرون. وقال بعضهم إنه كان لابد من وجود ابن الهيثم والخازن والكندي وابن سيناء والفارابي والبيروني والخوارزمي، لكي يظهر جاليليو وكيلر ونيوتن وكوبر نيق[١].

ويدلنا تتبع الفكر العلمي على مر العصور.. كيف أثر العلماء العرب في النهضة الأوربية. وكيف تأثر علماء أوربا بأعمال العلماء العرب فقد ثبت مثلا أثر العرب في ابتكار نظام الترقيم والصفر والنظام العشري. وكيف عرف ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى قبل هارفي بثلاثة قرون[٢].

وكيف قال الأدريسي وابن حزم والخازن بالجاذبية قبل نيوتن بقرون متطاولة.. بل كيف ربط الخازن بين الثقل والسرعة والمسافة مما جعل كثيراً من المحققين يقولون إن صاحب كتاب «ميزان الحكمة»أي الخازن كان يعرف هذه العلاقة التي وضعها نيوتن على هيئة قوانين ومعادلات. وكيف أجرى ابن الهيثم من التجارب لقياس سرعة الضوء، وتقدير زوايا الانعكاس والانكسار وبحوثه في البصريات.وكيف قاس فلكيو العرب أبعاد الأجرام السماوية وكيف ابتكروا الألآت الفلكية.

وكذلك لا يخفى بقية أسماء المسلمين الذين أغنوا أوروبا بعلومهم ومعارفهم، والذين وصفهم الباحث والرحالة الألمانى (الكسندر فون هومبولت) فى القرن التاسع عشر بأنهم (منقذو التعليم والثقافة الغربية).

• عباس بن فرناس (المتوفى فى ٨٨٨م) الذى حاول تصميم طائرة قبل نحو ٦٠٠ عام من قيام الإيطالى ليوناردو دافنشى بنفس المحاولة.

• أبو الحسن بن الهيثم (المتوفى فى ١٠٣٩م) الذى اخترع الحجرة المظلمة فالتصوير.

• أبو الريحان البيرونى (المتوفى فى ١٠٥٠م) العبقرى المتعدد المواهب الذى كان مؤرخًا وديبلوماسيًا وأخصائيًا فى اللغة السنسكريتية وعالم فلك ، وخبيرًا بالخامات وصيدلانيًا.

• عمر الخيام (المتوفى ما بين ١١٢٣م و ١١٣١م) الذى كان شاعرًا وعالم حساب فى آن واحد.

(١) موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثره على المسلمين,علي نايف الشحود. ٦/ ٢٢٩.

(٢) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية, الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية العدد ١٥,ص١٣٨.

• ابن رشد (ولد وتعلم فى الأندلس ، وتوفى فى ١١٩٨م) الذى تركت شروحاته وتعليقاته على أعمال أرسطو آثارًا عميقة على الفلسفة الغربية.

• ابن خلدون (المتوفى فى ١٤٠٦م) الذى يعتبر بحق (أبو التاريخ) و (أبو علم الاجتماع) ، عبر مُؤلفه الشهير المعروف بـ(مقدمة ابن خلدون) ،عن تاريخ العالم ومنهجه المميز فى نقد المصادر.

وكما تقول أغنية مصرية شائعة : (الأرض بتتكلمعربى) ، فإن أوروبا كثيرًا ما تستعمل العربية دون أن تدرى . إن الآثار التى خلّفها الحكم العربفى إسبانيا وصقلية يمكن متابعتها بشكل خاص فى مفردات اللغات الأوروبية، وخاصة فى اللغة الإسبانية . إن واحدة من كل خمس كلمات فى اللغة الإسبانية ذات أصل عربى.

وعرفنا أن ابن ماجد الملاح العربي. كان ربان سفينة.. فاسكودي جاما. في رحلاته الاستكشافية في أعالي البحار. وأن جابر ابن حيان هو أول من أسس علم الكيمياء على دعائم قوية وخلصه من التشويه والاضطراب فنقله من صورته المشوبه بالشعوذة والسحر، إلى علم له قواعده وتجاربه وأصوله. حتى قال عنه ((سارتون)) بحق.. إن علماء العصر الحالي لم يقدروا أن هذه أعمال رجل عاش في القرن الثاني للهجرة.. لوفرة ما بها من مادة علمية صحيحة، وشهد له بذلك ((هولمبارد)) العالم الكيميائي المعاصر.

ويدلنا هذا العرض لتطور الفكر العلمي على أن العرب كانوا بحق واسطة العقد. تأثروا بعلماء العصر الإغريقي، وعلماء العصر الإسكندري ولكنهم أثروا بدورهم في علماء النهضة الأوربية.

المطلب الثاني : تأثر علماء اوربا وقادتها بالحضارة الاسلامية

لقد كان للوضع الراهن الذي تعيشه الدول الاوربية من تفكك وظلم وتخلف ومنها هيمنة الكنيسة على الحياة العامة في أوروبا والتي كانت تحارب العلم والتطور اشد محاربة بحجة الدين، فضلا عن محاربة الناس بعدة طرق منها: بفرض الضرائب على رعايا الملوك وأن يحولها إلى روما وكانت صكوك الغفران وصكوك الحرمان أداة للضغط بيده في مواجهة معارضيه, والتي قد تضاءلت كثيراً في أوروبا بعد نهاية الحرب الصليبية, وقد قال أحد الكتاب الغربيين عن ذلك: ... وعظم سلطان الكنيسة وعلت مكانتها إلى أبعد حد بسبب الحملة الصليبية الأولى ثم أخذت تضعف بالتدرج بسبب الحملات التي تلتها وما من شك أنه كان للجهود الدعوية المختلفة التي بذلها المسلمون في هذه الفترة من سفارة ورسائل ورسل ومخالطة وكتابة ولقاءات وجهاد أثر كبير في ذلك , ومع مرور الوقت قلت هيبة الكنيسة ومكانتها في نفوس العامة وأدركت الشعوب

الأوروبية كذب ما يدعيه البابا من أنه نائب عن الله في الأرض وأنه معصوم عن الخطأ، فقلت الثقة به وسائر رجال الدين النصارى ، بل أن بعض المثقفين والكتاب وحتى رجال الدين الذين بدأوا بنقد بعض معتقدات الكنيسة الخاصة بالتثليث والعشاء الرباني وصكوك الغفران وغيرهما اعتماداً على شيء من أقوال علماء المسلمين في ذلك(١)، كذلك ظهرت بعض الجماعات والفرق الدينية في أوروبا التي تنادي بمحاربة الفساد المستشري بالكنيسة، بل والدعوة إلى معاداة رجال الدين وانتقاد بعض الطقوس النصرانية، ومن ذلك مثلاً قيام أحد رجال الدين في جامعة أكسفورد في بريطانيا في هذه الفترة بحملة ضد بعض العقائد النصرانية حيث كان له أتباع ومؤيدون، وكان من أقواله: إنه ليس ثمة ما هو أشبه بالوثنية من القربان عند المذبح (٢).

بسبب هذه الظروف وغيرها تأثر عدد كبير من علماء الغرب بالحضارة الإسلاميّة الراقية، حيث تعرفوا على علماء المسلمين، واستفادوا منهم، وخلال القرنين الحادي عشر والرابع عشر الميلاديين، انتقل الكثير من المسيحيين إلى الأراضي الإسلامية لطلب العلم، أمثال ليوناردو فيبوناتشي وأديلارد أوف باث وقسطنطين الإفريقي وغيرهم من الطلبة الأوروبيين الذين انتقلوا إلى مراكز العلم الإسلامية لدراسة الطب والفلسفة والرياضيات والعلوم الأخرى.

فكانليوناردو فيبوناتشي والذي كان والده مديراً لإحدى المؤسسات التجارية في بلاد الجزائر، وانضم إليه ليوناردو في تلك البلاد وهو في سن المراهقة، وتعلم على يد أستاذ مسلم، ثم طاف ببلاد مصر، والشام، واليونان، وصقلية، ودرس أساليب التجار، وتعلم طريقة العد، على حد قوله «بوسيلة عجيبة استخدم فيها أرقام الهنود التسعة»(٣),وكان معاصراً لفريدريك الثاني ملك صقلية (٤)، فكان أديلاردأوف بات الذي زار بلاد المسلمين، واطلع على كثير من العلوم في البلاد الإسلامية، ومن ابرز زياراته: الأندلس التي زارها في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ثم سافر إلى مصر وآسيا الصغرى وأطلع على كثير من العلوم في البلاد الإسلامية وانتقلت بواسطته

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية، د. سليمان بن عبد الله بن صالح الرومي، مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م، بيروت لبنان. (٢/ ٧٨٣).

(٢) الأيوبيون بعد صلاح الدين, عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي, دار المعرفة للطباعة والنشر, ط١(٩٥٦).

(٣) قصة الحضارة, وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م),الدكتور محيي الدّين صَابر, ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين, دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م, ١٧٠/١٧

(٤) فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٨٤.

إلى الغرب معلومات مهمة عن الشرق الإسلامي[١].و كان من أهم أعماله ترجمة ألنسخه العربية لإقليدس وترجمات فلكيه ورياضيه للخوارزمي وأبي معشر الفلكي واهم من ذالك كله كتاب ألفه في العلوم العربية بعنوان (العلوم عند العرب) وطبع هذا الكتاب عام ١٤٧٢م[٢]. وترجم بعض النصوص العربية إلى اللاتينية كان أول من اتخذ الاستقلالية في الشك كطريق موصل إلى التسليم بالمسلمات أو الرفض، فقال في كتاب الأسئلة الطبيعية مخاطبا ابن أخيه:

(إنني وقائدي العقل، قد تعلمت من أساتذتي المسلمين هو خلاف الذي تعلمته أنت، فبهرتك مظاهر الحجة بحيث وضعت في عنقك لجاما) [٣].

وجيرارد الكريموني الذي قدم من إيطاليا سنة ٥٤٥هـ وبقي في طليطلة حتى وفاته سنة ٥٨٢هـ -١١٨٧م وكان له جهود كبيرة في الترجمة [٤]، حيث ترجم أكثر من مائة كتاب من الكتب الإسلامية إلى اللاتينية[٥].

اما مايكل هارت فيقول في كتابه الخالدون مئة وأعظمهم محمد..

لقد اخترت محمداً في أول هذه القائمة ولابد أن يندهش الكثيرون ولكن محمداً هو الإنسان الوحيد الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستويين الديني والدنيوي وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً وبعد ١٣ قرن من وفاته فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قوياً.

وكان للأسقف رايموند الذي تولى أسقفية طليطلة بين سنتي ٥٢٦هـ ٥٤٧هـ دور كبير وجهود بارزة في ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية والتشجيع على ذلك، بل إنه كان يتولى رئاسة طائفة من المترجمين عرفت بمدرسة المترجمين الطليطيين[٦],وكانت أعداد كبير من العلماء الأوروبيين اهتمت بالترجمة من الثقافة العربية الإسلامية إلى اللغات الأوروبية في الحياة الفكرية في أوروبا الغربية [٧].

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٥).

(٢) تاريخنا الضائع بل المسلوب: ٩

(٣) علم الاكتناه العربي الإسلامي, د. قاسم السامرائي, مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: الرياض – السعودية, ط١, ٢٠٠١, ٣٧٠

(٤) الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ص ٥٤٢.

(٥) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٧٥).

(٦) فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٨٦.

(٧) الأيوبيون بعد صلاح الدين, عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي, دار المعرفة ط١, ٨٩٥

اما الفرنسى جوستاف لوبون فى كتاب حضارة العرب عالمية الحضارة الاسلامية فيقول..

لم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على أنفسهم فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب فهما مدينان لهم في تمدنهم، وإن هذا التأثير خاص بهم وحدهم فهم الذين هذبوا بتأثيرهم الخلقي البرابرة(١).

وتأثر علماء أوروبا بالإسلام، فاهتموا بالترجمة من الثقافة العربيّة الإسلاميّة إلى اللغات الأوروبيّة، وكان للمفاهيم الإسلاميّة الوقع والأثر الكبير في نفوس الأوروبيين، وانتشر في الممالك الأوروبيّة العديد من الكلمات العربيّة، ومنها: (DIS DIOS QUIERE): والتي تعني إن شاء الله. (OJALA): وكانوا يستخدمونها للتعبير عن الدهشة والتعجب، وتعني ما شاء الله.

نقله هؤلاء العلماء الأوروبيين عن المسلمين عن طريق الترجمة: وقد أحدثت هذه التراجم كلها في أوروبا اللاتينية ثورة عظيمة الخطر، ذلك أن تدفق النصوص العلمية من بلاد الإسلام واليونان كان له أعمق الأثر في استثارة العلماء الذين بدأوا يستيقظون من سباتهم وقال: .. كذلك أثارت هذه التراجم عقل أوروبا وحفزته إلى البحث والتفكير. ولقد أثرت المفاهيم الإسلامية في الأوروبيين وكان لابد من أن يحدث توسعاً في علوم الدين وفي تعديل أفكار العلماء عن الإله وشاع لدى النصارى في بعض مناطق أوروبا خاصة في الممالك النصرانية في الأندلس بعض الكلمات العربية ذات المدلول الديني الإسلامي، ومن ذلك مثلاً قولهم: DIS DIOS QUIERE ومعناه: قول المسلم: إن شاء الله ، ويتردد كثيراً في أحاديثهم OJALA للتعبير عن العجب أو الدهشة وما شابه ذلك ومعناه الحرفي ما شاء الله، كذلك بعض ألفاظ التحية والسلام وغير ذلك وفي صقلية وجنوب إيطاليا انتشرت عملات نصرانية كتب عليها آيات قرآنية منها قول تعالى: «هو الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون «سورة الصف، آية: ٩) وكانت علامة أحد ملوك صقلية: «الحمد لله شكر لأنعمه» ولاشك أن هذه العبارات والمفاهيم وأمثالها وهي تتردد بين عامة النصارى الأوروبيين لها أثرها على المدى الطويل (٢).

وانتقل هذا التأثر الى بعض قادة أوروبا بالحضارة الإسلاميّة، ومنهم:

روجر الثاني: وهو أحد ملوك صقلية، وقام بإحضار العديد من الكتب العربيّة، وأمر بترجمتها، وتميز باحترامه وإجلاله للعلماء المسلمين,و كان لديه جنود وشعراء وعلماء مسلمين في بلاطه.

---

(١) حضارة العرب - غوستاف لوبون, غوستاف لوبون, ترجمة: عادل زعيتر, مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة القاهرة - مصر: ٢٠١٢ م, ص ٢٤.

(٢) المصدر نفسه, ٨٩٦.

ويعد كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الذي كتبه الإدريسي المراكشي للملك روجر من أعظم مخطوطات جغرافية في العصر الوسطي[١]، وعندما كان يحضر الإدريسي إلى مجالسه كان يُلاقيه بكرم شديد ويحترمه ويوسع عليه. وقد قام (روجر الثانى) بتكليف الإدريسى برسم خرائط شاملة عن العالم ، فقام برسم خريطة للعالم بالإضافة إلى ٧٢ خريطة تفصيلية عن الحدود المعروفة آنذاك ، من خط الاستواء جنوبًا إلى المحيط الأطلسى غربًا وإلى المحيط الهادى شرقًا, وكانت المخططات التى وضعها راسمو الخرائط العرب فى صقلية ومايوركا فى القرن الثالث عشر فريدة من نوعها ؛ إذ استمر استعمالها ولم يجر تعديل المسافات المحددة فيها إلا فى وقت متأخر من القرن السابع عشر ، وكلمة أطلس المستخدمة فى اللغات الأوروبية مأخوذة مباشرة من اللغة العربية، وعندما قام (فاسكو دي جاما) بالاستعانة بالقبطان العربى (ابن ماجد) ؛ لاكتشاف طريق الهند عبر رأس الرجاء الصالح ، فإنه كان يعرف تمامًا بمن يجب أن يستعين [٢].

أما الرحالة المغربى (ابن بطوطة) (المتوفى فى ١٣٦٨م أو ١٣٧٧م) فإنه ارتحل إلى أصقاع بعيدة أوصلته إلى تومبكو وإلى بكين وإلى الفولغا ، وهو لاشك رحالة على نفس مستوى (ماركو بولو)[٣].

فريدريك الثاني: كان شديد التأثر بالعرب، وكان ماهراً ومتقناً باللغة العربيّة، وتميزت طفولته بعلاقته القوية مع قاضي المسلمين في مدينة بالرمو، والذي قدّم له الكثير من الكتب العربيّة.وكان يستمد من التراث الإسلامي, وهو الذي أسس جامعة نابلس عام ١٢٢٤ م وجهزها بالمخطوطات العربية وكان (طوماسالاكويني) (المتوفى عام ١٢٧٤ م من تلاميذها وقد اعتبر فريدريك هذا أول ملك مبدع وخلاق وضع الكثير انطلاقاً من المناهج العربية[٤], حتى انهتلكّأ في الخروج لقتال المسلمين بسبب عدم اقتناعه بفكرة الحروب الصليبية بالكلية, ما حدا بالبابا أن يصدر مرسوماً بالحرمان الكنسي والطرد من الرحمة بحقه وذلك سنة ١٢٢٧م - ٦٢٤هـ[٥].

ألفونسوا العاشر: كان يُقرب المسلمين من مجالسه، واعتمد عليهم في كثير من المهام والوظائف. تأثر قادة أوروبا بحكام المسلمين وبحكمهم؛ حيث ساد التسامح، والهدوء.

---

(١) التأثير الإسلامي على أوروبا في العصور الوسطى.

(٢) الخلاصة في فقه الأقليات ١ – ٩,علي بن نايف الشحود,١١١.

(٣) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ – ٢٩, علي بن نايف الشحود:٤٢٦/٣٩.

(٤) معلمة الفقه المالكي, عبد العزيز بنعبد الله, دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان, ط١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م, ٤٧.

(٥) بابا الفاتيكان في الميزان, علي بن نايف الشحود, ١٧/٢.

الخاتمة

ان اهم ما توصل اليه البحث هو:

١- ان من اهم الضوابط التي التي جعلت الشخصية الإسلامية متميزة في بناء الحضارة الإنسانية والتي يسعى الى جميع البشرية هي ناتجة من الوحي الإلهي المتمثل بالقران والسنة النبوية الشريفة وبتركها تنهار الحضارة مهما كبر اتباعها وتعددت وسائلها, كونها شريعة صالحة لكل زمان ومكان؟

٢- ان المقومات الأخلاقية للشخصية العلمية هي ضرورة من ضروريات التكامل الحضاري من الناحية المادية والروحية, وهي سبب التطور الذي وصل اليه الانسان من خلال اعتماد عدة نقاط تسهم في بناء وصقل النفس الإنسانية بكل معايير التقدم والرقي الحضاري.

٣- ان ما قدمته الحضارة الإسلامية من علوم ومعارف ناتجة من خلال اتباع تعاليم الدين الإسلامي العقائدية والخلقية والسلوكية المنبثقة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة, والتي هدفها الرقي بمستوى الانسان الحضاري من التقدم والتطور من الناحية الروحية والمادية معا.

٤- ان التقدم الذي سجلته الحضارة الإسلامية من خلال تميز الشخصية العلمية هو أساس تقدم جميع البلدان والدول شرقا وغربا.

٥- لقد كان للشخصية العلمية الإسلامية الأثر الكبير والواضح في نجاة المجتمعات الاوربية من كل ويلات الجهل والظلم والتخلف العلمي والحضاري.

من اهم التوصيات:

١- تسليط الضوء على اهم العلوم التي اكتشفها المسلمين, والتي تعتبر اساسيات العلوم جميعا, سواء كانت الإنسانية او العلمية . قديما وحديثا.

٢- ارجاع الثقة في بناء الحضارة الإسلامية التي حوربت من جهات عديدة غايتها هدم الإسلام, عن طريق التشكيك بالإسلام ومبادئه.

٣- رد الشبهات التي توهن وتغير من ماضي الحضارة الإسلامية العلمية والإنسانية, وتقلل من قيمتها امام المسلمين, والذي يعتبر سرقة للتراث الحضاري الإسلامي .

٤- الرجوع الى مصادر الوحي الإلهي والتمسك بالعقيدة الإسلامية , وجعل الولاء لله تعالى ورسوله ﷺ, وتفعيل دور الشخصية العلمية كما كانت في القرون الأولى.